عذاب القبر

اللؤلؤ المنثور
فى أحوال الموتى وأهل القبور

د. محيي الدين الطممي

المركز العربى الحديث
١٠٣ شارع الإمام على. ميدان الإسماعيلية. مصر الجديدة.
القاهرة ت: ٢٧٠٦٠٤٨١ فاكس ٢٧٤٦١٣٤

الحمد لله، الذي خلق الحياة والموت وجعل ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. فإنه لا يتذكر الموت إلا فتى من أهل المعرفة وحيد في عرفانه فريد.

ما هو لغز الموت. ما بدايته. ما نهايته ولما خلق ولأي غرض خلق وما المقصود منه؟ ومن يطلبه ومن يرفضه وهل هو الراحة العظمى لأهل الإيمان أم النكبة العظمى على أهل الجحود والطغيان وما سر تذكر الجهابذة والأحبار لصورة الموت؟ وما ذاك إلا لكونه حققهم من فناء هذه الدار التي هي دار البوار والغرور والشرور فإن الموت هو الحياة العظمى والسعادة القصوى من يفقه سره إلا فقيه ومن يلحن سر خلوده إلا لوذعي نبيه.

فإن ألسنة قلوب أولي العزم تطلب مقام الموت لكي لا تموت لأنها علمت وتحققت وتروحنت أنها إن لم تمت فلن تحيا فمن مات لم يمت ومن لم يمت فهو الميت.

إنني إلهي أتمنى أن أموت لكي أحيا معك إلى أبد الآبدين. ودهر الداهرين. وأصحبك هناك عند الكثيب بلا انقطاع بل نكون سرمداً في اجتماع.

حبيبي دعني أقدم لك نفسي الفداء فإن الموت هين في سبيلك.

وجلالي يبدو من جميلك فأنا أعشقك وفان فيك . وأنت تسري في دمي وروحي يحويك .

من الميت إلا من أبغضك وقلاك وجفاك فهذا هو الميت الحقيقي .

إن القبور لتضحك مما تحويه في بطونها وما سكن في عيونها تزفر وتقول : كم من ميت فيَّ حي وكم من حي على ظهري ميت . ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج : 46] ،لا راحة إلا بك أيها الموت أي الحياة السرمدية والخلود مع رب البرية .

تعسًا لمن أبغضك يا موت فإنه سيذوقك قهرًا ويتجرع غصصك ويشرب مرك . أما ذاك الشهيد والعارف الفاني الوحيد والعاشق الواله المتأله الفريد . فلا موت ولا حياة . كلها ألفاظ مستحدثة بل هو مع الرب في هذه الدار وغيرها ومن قبلها ومن بعدها ذاك المتدلل الأملس اللين الذي يبقى جسده في التراب غضًا ناعمًا إلى يوم أن يلقى حبيب الروح ليشرح له ويشتفي من نظره ويمرح في نعيمه الذي لا يزول وجاهه الذي لا يؤول فهذا سر الموت وناموسه فهل تراك فقهته يا فقيه الأولياء وترجمان الأصفياء؟!!

د. محيي الدين الطعمي

الفصل الأول

في المعنى الذوقي للقبر

اعلم أن القبر له لغتان في ذوقنا : لغة الباطن ، ولغة الظاهر .

فلغة الظاهر أحجار وعظام بادية وتراب ورمم لنفسها ناعية وهذه اللغة هي مبلغ العلم عند الناس لا سيما عامتهم وأهل المادة المجسمين المتحجرين منهم .

وأما لغة الباطن فإنها لغة أهل الحق تعالى العارفين بالله السادة الصوفية أهل الملامة الذين هجروا حظوظ النفس وشهوات الجسد الفاني وتعلقوا بالباقي وهؤلاء عندهم لغة القبر لغة معنوية لا تتعلق بالأحجار والتراب والعظام والرمم : بل تعلقها بعالم نحن عنه محجوبون هو عالم الروح المتجرد والسلطان الباقي الخالد فإن الروح هو الباقي الخالد والجسد هو الفاني الهالك وقد اتفق أهل الله أن الروح لا يفنى أصلاً بل هو باقٍ يسبح في ناموس الخلود وإنما الفناء واقع على الجسد الترابي الذي يتحلل وبتحلله يتحرر الروح فيصبح روحًا مجردًا يطير في ملكوت الله ويسبح في بحار الأنوار فالقبر يا ولي الله اعلم أنه أول مراحل الذوق الحقيقي لهذا الآدمي الذي يكشف له فيه عن العالم الأخروي فيراه عيانًا متحققًا فيه علي قدر مقامه . فأهل الجحيم يكشف لهم عن مصيرهم الناري الجهنمي . وأهل النعيم يكشف لهم عن الذي أعده الحق تعالى لهم من المنن الكبرى والنعم العظمى .

فاعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن القبر هو لغة الحركة لا لغة السكون وهو لغة المعني لا لغة الحس وهو لغة الخلود لا لغة الموت.

* * *

الفصل الثاني

في بيان أن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار

ودلت الآثار الواردة عن النبي ﷺ أن القبر ينقسم إلى قسمين قسم لأهل الجحيم وقسم لأهل النعيم وأن هذا القبر هو أول منازل الجزاء الأخروي وأن كل قبر هو صورة صاحبه الذي دفن فيه وما هو إلا صورة طبق الأصل من الذي كان يعمله في الدار الدنيا إلا أن يتغمده الله برحمة منه. روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**».

أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة**».

قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال القرطبي: قوله: «**روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**» محمول عندنا على الحقيقة لا المجاز وأن القبر يملأ على المؤمن خضراً وهو العشب من النبات وقد عينه ابن عمرو في حديثه أنه الريحان.

الفصل الثالث

في بيان أن الموت راحة للعباد

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الموت هو الراحة الكبرى لأهل الإيمان من عذاب هذه الفانية والزائلة الغانية ولهذا تمناه الأنبياء والصالحون حتى يلاقوا الحق سبحانه وتعالى فإنه لا يموت نبي حتى يخيره الحق سبحانه وتعالى فلا يختار إلا أن يلاقيه. ولهذا كان الموت هو راحة الأنبياء الكبرى لما فيه من لقاء الحق تعالى.

أخرج الشيخان البخاري ومسلم والنسائي عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة فقال: «**مستريح ومستراح منه**».

فقالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟

فقال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبادر والشجر والدواب».

فعلمنا أن الموت راحة لأهل الإيمان وكذا راحة لأهل الجحيم وهذا القول آية قول الحق تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]. فإن رحمته سائرة بالخلائق نحو عين ناموس الراحة أي وضع كل عين فيما يريحها وإن لم تر هي تلك الراحة بعين الحق الواضح.

* * *

الفصل الرابع

في صفة أعمار أمة سيدنا محمد ﷺ

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين وأقلهم من يجوز ذلك**» .

ومن العجيب أن عمر النبي ﷺ كان على قدمه كل الخلفاء الراشدين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم وهذا دال علي تعلق هؤلاء بالمقام المحمدي المنيف والتقليد البحت حتى في سلطان العمر . فهؤلاء الخلفاء هم أقطاب الآية القائلة : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب: 21] . وكانت أعمار الأنبياء السابقين وأممهم تصل إلى المئات من السنين .

قال الله تعالى في حق نوح عليه السلام : ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**﴾ [العنكبوت: 14] .

وروى البيهقي وابن أبي حاتم أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل حمل السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله ليلة القدر وهي خير من ألف شهر تعويضًا لهم من قصر أعمارهم فيبلغون السابقين وقد سبقوهم بفضل الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾

[آل عمران: 110] .

وروى الإمام مالك في «الموطأ» عن النبي ﷺ أنه أُرِيَ أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر.

وروى ابن أبي حاتم بسنده أن رسول الله ﷺ ذكر يومًا أربعة من أنبياء بني إسرائيل وهم: أيوب وزكريا وحزقيل ويوشع بن نون عليهم الصلاة والسلام عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فعجب أصحاب النبي ﷺ من ذلك فأتاه جبريل فقال: عجبت أمتك من هذا إن الله تعالى أنزل لكم خيرًا من ذلك فقرأ عليه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1]. وقال: هذا أفضل مما عجبت منه أمتك فسر ذلك النبي ﷺ والناس معه.

* * *

الفصل الخامس

في النهي عن تمني الموت عند وقوع المصيبة

وقد نهى النبي ﷺ المؤمنين من أن يتمنوا الموت ويطلبوه عند نزول البلاء وعليهم أن يرضوا بقضاء الله تعالى.

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لابد متمنيًا للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**».

وفي رواية: قال قيس: أتيت خبابًا وقد اكتوى في بطنه سبعًا فسمعته يقول: لولا أن النبي نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به.

* * *

الفصل السادس

في بيان أنه يجب على المؤمن أن يحب لقاء الله تعالى

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن لقاء الله سبحانه وتعالى يجب أن يحبه العارفون بالله تعالى وإلا فسدت معرفتهم بالله تعالى كيف لا يتمنون أن يلتقوا بالمحبوب الأعظم؟!!

روى البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»** فقالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت.

قال: **«ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضره الموت بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»**.

* * *

الفصل السابع

في بيان أن الميت يعذب بنواح أهله عليه

روى البخاري ومسلم عن المغيرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من نيح عليه يعذب بما نيح عليه**».

وروى الترمذي بسند حسن عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول: واجبلاه واسنداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا كنت**»؟!

وأخرج البخاري عن النبي ﷺ أنه مر على يهودية يبكي عليها أهلها فقال: «**إنهم يبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها**».

وروى البخاري ذُكِرَ لعائشة قولُ عمر: «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه» فقالت: رَحِم الله عمر والله ما حدث رسول الله ﷺ بذلك ولكن قال: «**إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه**».

* * *

الفصل الثامن

يرى ملك الموت وهو في النزع قبل أن تخرج روحه

قال الإمام أحمد في «المسند»: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمر وعن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما

يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثًا ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه الملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتي ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي اللَّه فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول اللَّه فيقولان له: وما علمك، فيقول: قرأت كتاب اللَّه فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من

الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول له: أبشر بالذي كنت يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة: اخرجي إلى سخط من اللَّه وغضب قال: فتفرق في جسده فينتزعه كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[الأعراف: 40] فيقول الله: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31] فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: من

ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسؤوك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: ومن أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة».

* * *

الفصل التاسع

في بيان أن روح المؤمن تعاد إلى جسده وهو في قبره

أخرج ابن أبي الدنيا عن حذيفة قال: «الروح بيد ملك وإن الجسد ليغسل وإن الملك ليمشي معه إلى القبر فإذا سوى عليه سلك فيه فذلك حين يخاطب».

وأخرج البيهقي في كتاب «عذاب القبر» من طريق عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد عن حنيفة أنه قال: «الروح بيد الملك والجسد يقلب فإذا حملوه تبعهم فإذا وضع في القبر بثه فيه».

واعلم أن الأنبياء أحياء في قبورهم قد أعيدت إليهم أرواحهم، قال مولانا علي حرازم في كتابه «الرماح»: الفصل الحادي والثلاثون في إعلامهم أن الأولياء يرون النبي ﷺ يقظة وأنه ﷺ

يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فإذا أراد الله أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها . انتهى .

قال أحمد بن المبارك صاحب «الإبريز» : سمعت رجلاً يقول : ذهبت إلى الحج فلما زرت قبر النبي ﷺ أخذتني حالة وقلت : يا رسول الله ما ظننت أني أصل إلى مدينتكم ثم أرجع إلى فاس فسمعت صوتًا من قبل القبر الشريف وهو يقول : إن كنت مخزونًا في هذا القبر فمن جاء منكم فليبق هاهنا وإن كنت مع أمتي حيثما كانت فارجعوا إلى بلادكم قال : فرجعت إلى بلادي . انتهى .

قال الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك» : وقد ذكر عن بعض الصحابة وأظنه ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى النبي ﷺ في النوم فتذكر حديثه ﷺ الذي فيه يقول : «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**» وبقي متفكرًا فيه ثم دخل على بعض أزواج النبي ﷺ أظنها ميمونة فقص عليها قصته فقامت وأخرجت له مرآته ﷺ قال رضي الله عنه : فنظرت في المرآة فرأيت صورة النبي ﷺ ولم أر لنفسي صورة . انتهى .

قال البيهقي في كتاب «الاعتقاد» : الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء وقد رأى النبي ﷺ

ليلة المعراج جماعة منهم وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه. انتهى.

* * *

الفصل العاشر

في ذكر أن الأنبياء أحياء بعد موتهم

أخرج أبو يعلى في مسنده عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**» وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الأنبياء لا يتحركون بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور**».

وروى سفيان الثوري في «الجامع» قال: قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال: «ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع».

وروى عبد الرزاق في «المصنف» عن الثوري عن أبي المقدام عن سعيد بن المسيب قال: «ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يومًا».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي يموت ويقيم في قبره إلا أربعين صباحًا**».

وقال الرافعي في «الشرح الكبير» روي أن النبي ﷺ قال: «**أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث**». انتهى.

وقال أبو الحسن بن الزاغوني الحنبلي في بعض تصانيفه حديث **«إن الله لا يترك نبيًا في قبره أكثر من نصف يوم»**. انتهى.

قال ابن فارس في كتاب «المنح الإلهية في مناقب السادة الوفائية»: سمعت سيدي عليًا رضي الله عنه يقول: كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب فأتيته يومًا فرأيت النبي ﷺ يقظة لا منامًا وعليه قميص أبيض قطن ثم رأيت القميص عليَّ فقال لي: اقرأ فقرأت عليه سورة والضحى وألم نشرح وغاب عني فلما بلغت إحدى وعشرين عامًا أحرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرأيته ﷺ قبالة وجهي فعانقني فأوتيت لسانه من ذلك الوقت. انتهى.

وقد اتفق المؤرخون الذين ترجموا للشيخ الرفاعي رضي الله عنه أنه لما حجَّ وقف تجاه الحجرة الشريفة وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه نوبة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت اليد الشريفة من القبر فقبلها.

* * *

الفصل الحادي عشر

في ذكر أن الأنبياء والصالحين يرون أهل القبور في قبورهم

والدليل على ذلك أن النبي ﷺ رأى أهل القليب وهم يعذبون فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم.

روى البخاري عن أبي طلحة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قام على شفة الرَّكِيِّ «البئر» فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟!

فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها.

فقال: «**والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**».

ومن جملة أدلة مكاشفة الأنبياء والصالحين بأحوال أهل القبور أنه ﷺ مَرَّ بقبرين فرآهما وهما في القبر يعذبان أحدهما يعذب بالنميمة والآخر يعذب من نجاسة البول روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: « **إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير** » ثم قال: « **بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبريء من بوله**». وفي رواية: لا يستتر من بوله.

قال: ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره اثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: «**ولعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**».

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع صوتًا من قبر فقال: «**متي مات هذا؟**».

فقالوا: مات في الجاهلية.

فسر بذلك وقال: « **لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر**».

* * *

الفصل الثاني عشر

في ذكر خلق ملك الموت

ورد في الأثر أن الحق تعالى لما خلق ملك الموت حجب عن الخلائق بألف ألف حجاب عظمة أكبر من السموات والأرضين ولو صب جميع البحار والأنهار على رأسه ما وقعت منه قطرة على الأرض وإن مشارق الدنيا ومغاربها بين يديه كخوان قد وضع عليه كل شيء وضع بين يدي رجل ليأكله فيأكل منه ما شاء فكذلك ملك الموت يقلب الدنيا كما يقلب الآدمي بين يديه درهمًا قد شد بسبعين ألف سلسلة كل سلسلة طولها مسيرة ألف عام ولا تقربه الملائكة ولا يعلمون مكانه ولا يسمعون صوته ولا يدرون حاله ولا إلى أي وقت هو فلما خلق الله تعالى الموت وسلط عليه ملك الموت ، قال ملك الموت: يا ربي وما الموت ؟ فأمر الله تعالى الحجب أن تنكشف حتى رآه ملك الموت فقال الله تعالى للملائكة: قفوا انظروا هذا الموت فوقفت الملائكة كلهم أجمعون وقال الله تعالى له: طر عليهم وانشر

الأجنحة كلها وافتح عينيك. فلما طار نظرت إليه الملائكة فخروا مغشيًا عليهم ألف عام فلما أفاقوا قالوا: ربنا أخلقت أعظم من هذا خلقًا؟ قال الله تعالى: أنا خلقته وأنا أعظم منه وقد يذوق الحق منه ثم قال الله: يا عزرائيل خذه فقد سلطتك عليه فقال: إلهي بأي قوة آخذه فإنه أعظم مني؟ فأعطاه الله قوة ثم أخذه فسكن في يده فقال الموت: يا رب ائذن لي حتى أنادي في السموات مرة فيأذن لي فنادى بأعلى صوته: أنا الموت الذي أفرق بين كل حبيب وأنا الموت الذي أفرق بين الزوج والزوجة وأنا الموت الذي أفرق بين البنات والأمهات وأنا الموت الذي أفرق بين الأخ والأخوات وأنا الموت الذي أخرب الدور والقصور وأنا الذي أعمر القبور وأنا الموت الذي أطلبكم وأحرككم لو كنتم في بروج مشيدة ولا يبقى مخلوق إلا يذوقني وإن الكافر والمنافق والشقي إذا نصر الموت نزل عليهم وعن يساره ملائكة العذاب سود الوجوه زرق العيون ومعهم لباس من العذاب فيجلسون بعيدًا منه حتى يجيء ملك الموت وإذا جاء ملك الموت أحد منهم قام بين يديه على صورة مهيبة ثم يقول نفس ذلك الشخص: من أنت؟ وما تريد؟ فيقول: أنا ملك الموت الذي أخرجك من الدنيا وأجعل ولدك يتيمًا وزوجتك أرملة ومالك موروثًا بين ورثتك الذين لا تحبهم في حال حياتك وأنت لم تقدر خيرًا لنفسك ولا لآخرتك اليوم جئت إليك لأقبض روحك فإذا سمع به شخص حول وجهه إلى الحائط ليرى ملك الموت قائمًا بين يديه فيحول وجهه إلى الجانب الأيمن فيرى ملك الموت بين يديه قائمًا فيقول ملك الموت: ألم

تعرفني أنا ملك الموت الذي قبضت روح والديك وأنت تنظر إليهما ولم تنفعهما. اليوم آخذ روحك حتي ينظر أولادك وأقرباؤك ورفقاؤك حتى ينتصحوا منك اليوم وأنا ملك الموت الذي أفنيت من القرون الماضية من هو أكثر قوة منك وأكثر مالاً من مالك وأكثر ولدًا من أولادك ثم يقول له ملك الموت: كيف رأيت الدنيا فيقول: رأيتها مكارة غدَّارة ثم يخلق الله تعالى الدنيا؟ على صورة فتقول الدنيا: يا عاصي أما تستحي أنت أذنبت في الدنيا ولم تمنع نفسك عن المعاصي فذلك قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 89,88].

* * *

الفصل الثالث عشر

في ذكر دعاء النبي ﷺ لمن مات

أن يثبته الله سبحانه وتعالى بعد الفراغ من الدفن

قال البيهقي في كتاب «عذاب القبر»: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ثنا أحمد ابن عبيد الصفار ثنا محمد بن غالب بن حرب وإبراهيم بن عبد الله ـ واللفظ لتمام ـ حدثني علي بن عبد الله بن جعفر ثنا هشام بن يوسف عن عبد الله بن بحير عن هانيء مولى عثمان بن عفان عن عثمان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت قال: «**استغفروا لميتكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**».

الفصل الرابع عشر

في ذكر استعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر

وقد ثبت وصح أن رسول الله ﷺ كان يستعيذ من عذاب القبر حتى كان يستعيذ من عذاب القبر في صلاته ، روى البخاري في «الجامع الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر قالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر .

فقال : «**نعم عذاب القبر حق**» قالت عائشة رضي الله عنها : فما رأيت رسول الله بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر وروى البخاري عن النبي ﷺ أنه كان يدعو : «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال**» .

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت عجوزان من عجائز يهود المدينة فقالتا : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله إن عجوزين دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم فقال : «**صدقتا إنهم يعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه البهائم**» فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوَّذ من عذاب القبر .

* * *

الفصل الخامس عشر

في ذكر أن النبي ﷺ كان يدعو على الكفار بعذاب القبر

روى الشيخان البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ يوم الخندق فقال: « **ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتي غابت الشمس**» وهي صلاة العصر.

وروى البيهقي في «عذاب القبر» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قاتل رسول الله ﷺ المشركين حتى فاتتهم الصلاة فقال رسول الله ﷺ: «**شغلونا عن صلاة الوسطى ـ صلاة العصر ـ ملأ اللّه قبورهم وأجوافهم ناراً**».

* * *

الفصل السادس عشر

في ذكر نزول الملائكة عند الموت ببشرى المؤمن ووعيد الكافر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

[فصلت: 30]

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ

﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93].

روى مسلم والنسائي في «المجتبي» والحاكم في «المستدرك» وابن حبان في «موارد الظمآن» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا أخرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال: يقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به إلى ربه ثم يقول: انطلوقا به إلى آخر الأجل».

قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد: ذكر من نتنها وذكر لعنًا ويقول أهل السماء: روح خبيثة من قبل الأرض» قال: ويقال: «انطلقوا به إلى آخر الأجل».

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الصالح اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان**».

فما يزال يقال له ذلك حتى تخرج فيعرج بها حتى ينتهي بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟

فيقال: فلان بن فلان.

فيقال: «مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان». فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء» أظنه أراد السماء السابعة.

قال: وإذا كان الرجل السوء قالوا: «اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج».

فلا يزال يقال له ذلك حتى تخرج فينتهي بها إلى السماء فيقال: من هذا؟

فيقال: فلان بن فلان.

فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنه لا تفتح لك أبواب السماء».

«فترسل إلى الأرض ثم تصير إلى القبر».

* * *

الفصل السابع عشر

في ذكر أن روح الميت تأتي لتزور دارها وأهلها وأقاربها

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه إذا مات المؤمن دارت روحه حول داره شهرًا فتنظر إلى ما خلفه من ماله كيف يقسم وكيف تؤدى ديونه فإذا تم له شهر ردت إلى حفرته فتدور بعد ذلك حتى يتم عليه حول فينظر من يدعو له ومن يحزن عليه فإذا تم الحول رفعت روحه إلى حيث تجتمع الأرواح يوم القيامة أي يوم ينفخ في الصور قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ [القدر: 4] الآية.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا كان يوم العيد ويوم عاشوراء ويوم الجمعة الأولى من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وليلة الجمعة تخرج أرواح الأموات من قبورهم ويقفون على أبواب بيوتهم ويقولون: ترحموا علينا من هذه الليلة المباركة بصدقة أو بلقمة فإنا محتاجون إليها فإن بخلتم بها ولم تعطوها فاذكرونا بفاتحة الكتاب في هذه الليلة المباركة هل من أحد يترحم علينا هل من أحد يذكر غربتنا يا من سكن دارنا ويا من نكح نساءنا ويا من أقام في واسع قصورنا ونحن الآن في ضيق قبورنا ويا من قسم أموالنا ويا من استذل أيتامنا هل منكم أحد يذكر غربتنا وصحفنا مطوية وكتابكم منشور وليس للميت في اللحد ثواب فلا تنسونا بكسرة من خبزكم ودعائكم فإنا محتاجون إليكم أبدًا فإن وجد الميت من الصدقة والدعاء منهم رجع فرحًا مسرورًا وإن لم يجد رجع محزونًا ومحرومًا ويائسًا منهم.

* * *

الفصل الثامن عشر

في ذكر عقوبة تارك الصلاة في قبره وما يصيبه من ذلك

روى ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» «أن من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق

الخاطف ويدخل الجنة بغير حساب» ومن تهاون بها عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس في الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث في القبر وثلاث عند خروجه من القبر.

فأما اللاتي في الدنيا:

فالأولى ينزع البركة في عمره، والثانية يمحى سيماء الصالحين من وجهه، والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه، والرابعة لا يرفع له دعاء إلى السماء، والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين. وأما اللاتي تصيبه عند الموت: فإنه يموت ذليلاً والثانية يموت جائعًا، والثالثة يموت عطشانًا ولو سقي بحار الدنيا ما روى من عطشه وأما اللاتي تصيبه في قبره: فالأولى يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارًا يتقلب على الجمر ليلاً ونهارًا والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول: أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول: أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء واضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح. فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعًا فلا يزال في الأرض معذبًا إلى يوم القيامة.

الفصل التاسع عشر

في ذكر عقوبة شارب الخمر في قبره وما يصيبه من ذلك

سئل بعض التائبين عن سبب توبته؟ فقال: كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتًا مصروفين عن القبلة فسألت أهليهم عنهم فقالوا: كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة.

وقال بعض الصالحين: مات لي ولد صغير فلما دفنته رأيته بعد موته في المنام وقد شاب رأسه فقلت: يا ولدي دفنتك وأنت صغير فما الذي شيبك؟

فقال: يا أبت دفن إلى جانبي رجل ممن كان يشرب الخمر في الدنيا فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها نعوذ بالله منها.

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «**من مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجري من فروج المومسات أي الزانيات يؤذي أهل النار ريح فروجهن**».

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا سقيته إياها من حظائر القدس مع خير الندماء**».

* * *

الفصل العشرون

في ذكر عقوبة الزاني في قبره وما يصيبه من ذلك

قد ورد في الأثر: أن من زنى بامرأة متزوجة كان عليها وعليه في القبر نصف عذاب هذه الأمة فإذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها في حسناته هذا إن كان بغير علمه فإن علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة: «**أنت حرام على الديوث**» وهو الذي يعلم بالفاحشة في أهله ويسكت ولا يغار.

* * *

الفصل الحادى والعشرون

في ذكر عقوبة النمام والذي لا يستبريء من بوله في القبر وما يصيبهما من ذلك

روى الشيخان البخاري ومسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: مرّ رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**» قال وكيع: لا يَتَوقاه.

قال: فدعا بعسيب رطب فشقه اثنتين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال: «**لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**».

وروى البيهقي في كتاب «عذاب القبر» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أكثر عذاب القبر من البول**».

وروى البيهقي في كتاب «عذاب القبر» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا من البول**».

وروى البيهقي في «عذاب القبر» عن عبد الرحمن بن حسنة قال: كنت أنا وعمرو بن العاص جالسين فخرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده درقة فبال وهو جالس فتكلمنا بيننا فقلنا: يبول كما تبول المرأة.

فأتانا فقال: «**أما تدرون ما لقي صاحب بني إسرائيل كان إذا أصابهم بول قرضوه فنهاهم فتركوه فعذب في قبره**».

* * *

الفصل الثاني والعشرون

في ذكر عقوبة الدين في القبر وما يصيب صاحبه من ذلك

أخرج الترمذي والإمام أحمد في «المسند» والبيهقي في «السنن الكبرى» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال نفس المؤمن معلقة بدَيْنه حتي يُقضى عنه**».

وروى البيهقي في «عذاب القبر» عن جابر بن عبد الله قال: توفي رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه ثم أتينا به النبي ﷺ ليصلي عليه فخطا خطًا ثم قال: «**هل عليه دَيْن؟**»

قلنا: نعم.

قال: «**صلوا على صاحبكم**».

فقال أبو قتادة: يا رسول الله دَيْنه عليَّ

فقال النبي ﷺ: «**هما عليك حق الغريم وبرء المبيت؟**»

قال: نعم.

فصلى عليه ثم لقيه في الغد.

فقال: «**ما فعل الدينارانِ؟**»

فقال: يا رسول الله إنما مات أمس.

ثم لقيه من الغد فقال: «**ما فعل الدينارانِ؟**»

فقال: يا رسول الله قد قضيتهما.

فقال رسول الله ﷺ: «**الآن بردت عليه جلده**».

* * *

الفصل الثالث والعشرون

في ذكر إثبات سؤال الملكين

عن البراء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أُقْعِدَ المؤمنُ في قبره أتِيَ ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾**[إبراهيم: 27]» رواه البخاري.

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ ـ لمحمد ﷺ ـ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً وأما الكافر والمنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين».

والثابت من سؤال الملكين ثلاثة سؤالات كما أورد ذلك العارف مولانا عبد الغني النابلسي رضي الله عنه في كتابه «ثبوت القدمين في سؤال الملكين» وهذه الأسئلة الثلاثة:

السؤال الأول: قول الملكين: «من ربك». ؟

السؤال الثاني: قول الملكين: «من نبيك». ؟

السؤال الثالث: قول الملكين: «ما دينك». ؟

* * *

الفصل الرابع والعشرون

في ذكر أن الذي يموت من وجع البطن لا يعذب في قبره

أخرج الترمذي والنسائي عن عبد الله بن يسار قال: كنت جالسًا عند سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكرا رجلاً مات في بطنه فأحب أن يحضر جنازته فقال أحدهما للآخر: ألم يقل أو لم تسمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن الذي يقتله بطنه لن يعذب في قبره**». قال: بلى.

* * *

الفصل الخامس والعشرون

في ذكر أن من مات مريضًا وقي من عذاب القبر

روى البيهقي في كتاب «عذاب القبر» من طريق ابن جريج عن إبراهيم بن محمد عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من مات مريضًا مات شهيدًا**» أو: «**وقي من عذاب القبر**».

* * *

الفصل السادس والعشرون

في ذكر أنَّ من مات مرابطاً أمن من عذاب القبر

روى أبو داود والحاكم في «المستدرك» عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال: «**كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر**».

وروى النسائي وأبو نعيم في «الحلية» عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه فإن مات جرى عليه الرباط ويؤمن من الفتان ويقطع له رزق في الجنة**».

* * *

الفصل السابع والعشرون

في ذكر أن الشهيد يأمن من عذاب القبر

روي الإمام أحمد في «المسند» عن قيس الجذامي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للقتيل عند الله ست خصال: تغفر له خطيئته في أول دفقة من دمه ويجار من عذاب القبر ويحلى حلة الكرامة ويرى مقعده من الجنة ويؤمن من الفزع الأكبر ويزوج من الحور العين**».

الفصل الثامن والعشرون

في ذكر أن من مات يوم الجمعة أو مات ليلة الجمعة فهو آمن من عذاب القبر

وروي الترمذي والطحاوي في «مشكل الآثار» عن ربيعة ابن سيف أن أبا عبد الرحمن الحبلي أخبره أن ابنًا لعياض بن عقبة توفي يوم الجمعة فاشتد وجده عليه فقال له رجل من الصدف: يا أبا يحيى ألا أبشرك بشيء سمعته من عبد الله بن عمرو بن العاص؟

سمعته يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت في ليلة الجمعة إلا بريء من فتنة القبر**».

وروى البيهقي في كتاب «عذاب القبر» عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**من توفي يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي الفتان**».

* * *

الفصل التاسع والعشرون

في ذكر أن من مات ببيت المقدس فكأنما مات في السماء

روى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء**».

* * *

الفصل الثلاثون

في ذكر أن من مات في أحد الحرمين فقد استوجب أمان الله

روى الطبراني في «الكبير» عن سلمان عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين».

وروي الطبراني في «الصغير» عن جابر عن النبي ﷺ قال: «من مات في أحد الحرمين بعث آمناً يوم القيامة».

* * *

الفصل الحادي والثلاثون

في ذكر أن قراءة سورة يس تخفف الموت عن الميت

روى الإمام أحمد في «المسند» عن المشيخة أنهم حضروا عفيف بن الحارث حين اشتد سوقه فقال: هل منكم أحد يقرأ يس؟ قال: فقرأها صالح بن شريح السلوي فلما بلغ أربعين منها قبض قال: فكان المشيخة يقولون: إذا قرئت عند الميت خفف عنه بها.

* * *

الفصل الثانى والثلاثون

في ذكر أن قراءة سورة الملك عند الميت تنجيه من عذاب القبر

أخرج الدارمي عن عبد الله قال: توفي رجل فأتى من جوانب قبره فجعلت سورة من القرآن تجادل عنه حتي منعته.

قال: فنظرت أنا ومسروق فإذا هي «سورة الملك».

وروى البيهقي في «عذاب القبر» عن عبد الله قال: جادلت «سورة تبارك» عن صاحبها حتى أدخلته الجنة.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب بعض أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك حتى ختمها فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله ﷺ: «**هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر**».

* * *

الفصل الثالث والثلاثون

في ذكر أن النبي ﷺ استعاذ من موت الفجأة

عن أبي أمامة قال: كان النبي ﷺ يتعوذ من موت الفجأة وكان يعجبه أن يمرض قبل أن يموت. رواه الطبراني في «الكبير».

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن موت الفجأة فقال: «**راحة للمؤمن وأخذة أسف على الفاجر**».

* * *

الفصل الرابع والثلاثون

في ذكر استعاذة النبي ﷺ من سبع موتات

روى أحمد والبزار عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ استعاذ من سبع موتات: موت الفجاءة ومن لدغ الحية ومن السبع ومن الغرق ومن الحرق ومن أن يخر على شيء أو يخر عليه شيء ومن القتل عند فرار الزحف.

* * *

الفصل الخامس والثلاثون

في ذكر أنواع الشهداء

روى الطبراني في «الكبير» عن سلمان قال: أتيت النبي ﷺ بالزكاة ثلاث مرات. فقال: «**ما تعدون الشهيد فيكم؟**»

قالوا: الذي يقتل في سبيل الله.

قال: «**إن شهداء أمتي إذاً لقليل. القتل في سبيل الله شهادة والطاعون شهادة والنفساء شهادة والحرق شهادة والغرق شهادة والسل شهادة والبطن شهادة**».

الفصل السادس والثلاثون

في ذكر أن الذي يموت غريباً إنما يموت شهيداً

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «موت الغريب شهادة إذا احتضر فرمى ببصره عن يمينه وعن يساره فلم ير إلا غريباً وذكر أهله وولده فتنفس فله بكل نفس يتنفسه يمحو الله عنه ألفي ألف سيئة ويكتب له ألفي ألف حسنة» رواه الطبراني في «الكبير».

* * *

الفصل السابع والثلاثون

في ذكر أن من مات من ذات الجنب فهو شهيد

روى الطبراني في «الكبير» عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «الميت من ذات الجنب شهيد».

* * *

الفصل الثامن والثلاثون

في زيارة القبور والدعاء لأهلها

عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة».

رواه الخمسة إلا البخاري واللفظ للترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتي المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**». رواه مسلم.

وروي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: «**السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر**».

* * *

الفصل التاسع والثلاثون

في زيارة النبي ﷺ قبر أمه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: « **استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذنَ لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت** ». رواه مسلم.

* * *

الفصل الأربعون

في أن الميت ينتفع بعمل غيره

اعلم أيدني الله وإياك أن أعظم ما ينتفع الميت به ما يقدمه له ابنه.

روى أبو داود والنسائي عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أنه قال:

يا رسول الله إن أم سعد ماتت فأي الصدقة أفضل؟

قال : «الماء» .

قال : فحفر بئرًا وقال : هذه لأم سعد .

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : توفيت أم سعد بن عبادة وهو غائب عنها فقال : يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال : «نعم» قال : فإني أشهدك أن حائطي المِخْرَاف صدقة عنها .

وروى الخمسة إلا البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» .

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علمه ونشره وولدًا صالحًا تركه أو مصحفًا ورثه أو مسجدًا بناه أو بيتًا لابن السبيل بناه أو نهرًا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته**» .

* * *

الفصل الحادى والأربعون

في الكلام على سكرات الموت

أخرج ابن أبي الدنيا مرسلاً عن الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال : «**هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف**» رجاله ثقات .

وأخرج ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من حديث صعمة بن غيلان الجعفي عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل اللهم فأعنِّي على الموت وهوّنه علي**».

وأخرج ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من رواية أبي ميسرة رفعه إلى النبي ﷺ: «**لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله تعالى لأن في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات**» مرسل حسن الإسناد.

وأخرج ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من حديث سلمان عن النبي ﷺ أنه دخل على مريض ثم قال: «**إني أعلم ما يلقى ما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته**».

وكان علي كرم الله وجهه يمضي على القتال ويقول: «إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من موت على فراش».

وقال الأوزاعي: «بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره».

وروى الشيخان وهو متفق عليه عن عائشة عن النبي ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول: «**اللهم هون عليَّ سكرات الموت**».

وروى عن نبي الله موسى عليه السلام أنه لما طارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه: يا موسى كيف وجدت الموت؟ فقال موسى: «وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب».

وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار: يا كعب حدثنا عن الموت؟

فقال: نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقي ما أبقى.

* * *

الفصل الثاني والأربعون

في الكلام علي أنه يجب علي المؤمن عدم اغتياب الميت ولا يذكر سوى محاسنه

أخرج ابن أبي الدنيا والمحاملي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور**».

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسُبُّوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل: «**ما من عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث أبيات من جيرانه الأدنين بخير إلا قال الله عز وجل: قد قبلت شهادة عبادي على ما علموا وغفرت له ما أعلم**».

وروى ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من حديث عائشة رضي

الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه**».

وأخرج أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها بإسناد جيد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه**».

* * *

الفصل الثالث والأربعون

في بيان أقاويل جماعة من الصحابة والتابعين والصالحين

ومن بعدهم من أهل التصوف في الموت وما وقع لهم في ساعة الاحتضار وخروج الروح

لما حضرت بلالاً رضي الله عنه الوفاة قالت امرأته: واحزناه فقال: بل واطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

ولما حضرت سلمان رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهمًا.

ولما حضرت الحبر عبد الله بن المبارك رضي الله عنه الوفاة فتح عينه وضحك وقال: «لمثل هذا فليعمل العاملون».

ولما حضرت النخعي رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟

قال: أنتظر من الله رسولاً يبشرني بالجنة أو بالنار.

ولما حضرت محمداً بن المنكدر رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته ولكن أخاف أني أتيت شيئًا حسبته هينًا وهو عند الله عظيم.

ولما حضرت فضيلاً رضي الله عنه الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال: وا بعد سفراه وا قلة زاداه.

ولما حضرت عامر بن عبد القيس رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء.

وقيل لذي النون رضي الله عنه عند موته: ما تشتهي؟

قال: أن أعرفه قبل موتي بلحظة.

ولما احتضر أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أتاه أصحابه فقالوا: أبشر فإنك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم: ألا تقولون احذر فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير؟

ولما حضرت الثوري رضي الله عنه الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله؟

فقال: أليس ثم أمر؟

ولما حضرت الشافعي رضي الله عنه الوفاة دخل عليه المزني فقال له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان

مفارقًا ولسوء عملي ملاقيًا ولكأس المنية شاربًا وعلى الله تعالى واردًا ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها وأنشد:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلماً

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما

ولولاك لم يغو بإبليس عابد فكيف وقد أغوى صفيك آدما

ولما حضرت أحمد بن خضرويه رضي الله عنه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال: يا بني باب كنت أدقه خمسًا وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة لي لا أدري أيفتح بالسعادة أو الشقاوة؟

ولما حضرت يوسف بن أسباط رضي الله عنه الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقًا فقال: يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع؟ فقال: يا أبا عبد الله وكيف لا أقلق ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء عملته فقال حذيفة: واعجباه لهذا الرجل الصالح يحلف أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله.

ولما حضرت بشرًا الحافي رضي الله عنه الوفاة قيل له: كأنك تحب الحياة؟ ـ وكان في شدة عظيمة ـ.

فقال: القدوم على الله شديد.

ولما حضرت سريًا السقطي رضي الله عنه الوفاة دخل عليه الجنيد كي يعوده فقال له: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي ... والذي بي أصابني من طبيبي

قال الجنيد: فأخذت المروحة لأروحه فقال: كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق؟ ثم أنشأ يقول:

القلب محترق والدمع مستبقُ ... والكرب مجتمع والصبر مفترقُ

كيف القرار على من لا قرار له ... مما جناه الهوى والشوق والقلقُ

يا رب إن يك شيء فيه لي فرج ... فامنن عليَّ به مادام بي رمقُ

ولما حضرت الجنيد رضي الله عنه الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله؟

فقال: ما نسيته فأذكره.

ولما حضرت رويماً البغدادي رضي الله عنه الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله؟ فقال: لا أحسن غيره.

ولما حضرت أبا بكر الشبلي رضي الله عنه الوفاة قال: عليَّ درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما علي قلبي شغل أعظم منه ثم قال لخادمه: وضئني ففعل فنسي تخليل لحيته ـ وقد أمسك لسانه ـ فقبض على يد خادمه وأدخلها في لحيته ثم مات فبكى خادمه وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة.

وقال رويم: حضرت وفاة أبي سعيد الخراز وهو يقول:

حنين قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكارهم وقت المناجاة للسرِ

أديرت كؤوس للمنايا عليهم ... فأغفو عن الدنيا كإغفاء ذي الشكرِ

همومهم جواله بمعسكر ... به أهل ود الله كالأنجم الزهرِ

فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه ... وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري

فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم ... وما عرجوا من مس بؤس ولا ضرِ

ولما احتضر أبو بكر الواسطي رضي الله عنه قيل له: أوصنا فقال: احفظوا مراد الحق فيكم.

وقيل للكتاني رضي الله عنه لما حضرته الوفاة: ما كان عملك؟

فقال: لو لم يقرب أجلي ما أخبرتكم به وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه.

ولما حضرت ممشاداً الدينوري رضي الله عنه الوفاة قيل له من باب الدعاء: أدخلك الله الجنة فضحك وقال: منذ ثلاثين سنة تعرض عليَّ الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي.

ويحكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري رضي الله عنه قالت: ما قرب أجل أبي علي الروذباري ـ وكان رأسه في حجري ـ فتح عينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول: يا أبا علي قد بلغناك الدرجة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول:

وحقك لا نظـــرت إلى سـواكا بعين مـــودة حتى أراكـــا

أراك معـــذبي بفـــتور لحـــظ وبالخـــد المورد من حيـــاكا

* * *

الفصل الرابع والأربعون

في استحباب زيارة قبر النبي ﷺ وأنها مجمع عليها في المذاهب الأربعة

قال القاضي عياض رحمه الله: وزيارة قبر النبي ﷺ سنة بين المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها. انتهى.

وبهذا قال الأعيان من علماء المذاهب الأربعة:

1- فمن الشافعية:

القاضي أبو الطيب الطبري والمحاملي والحليمي والماوردي والروياني والقاضي حسين والشيخ أبو إسحاق الشيرازي.

2- ومن الأحناف:

أبو منصور الكرماني في مناسكه وعبد الله بن محمود في شرح المختار وأبو الليث السمرقندي في فتاواه والسروجي في الغاية.

3- ومن الحنابلة:

أبو الخطاب الكلواذاني في الهداية وأبو عبد الله السامري في المستوعب ونجم الدين بن حمدان في الرعاية الكبري.

وقد عقد ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن بابًا في زيارة قبر النبي ﷺ.

وكذلك من السادة الحنابلة الشيخ الموفق بن قدامة في كتابه الجامع المغني.

4- ومن المالكية:

أبو عمران الفاسي وابن أبي زيد وابن رشد وابن عطاء الله والشيخ الدردير والشيخ الخرشي وغيرهم.

وقال ابن مرزوق في كتابه التوسل بالنبي ﷺ وبالصالحين فمن منع زيارة قبر النبي ﷺ فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله وقوله مردود عليه ولو فتحنا باب هذا الخيال الفاسد لتركنا كثيراً من السنن بل ومن الواجبات والقرآن كله والإجماع المعلوم من الدين بالضرورة وسير الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين والسلف على وجوب تعظيم النبي ﷺ والمبالغة في ذلك.

* * *

الفصل الخامس والأربعون

في بيان أن زيارة قبر النبي ﷺ في أي وقت هو قربة ربانية خالصة

ويتحتم ذلك من عدة وجوه هي كالآتي:

1- دليل نص القرآن الوارد من قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ.....﴾ [النساء: 64] ولم يذكر الحق عز وجل أن هذا المجيء يكون في حياته فقط بل سكت والسكوت يفيد العموم

والإطلاق سواء في حياته أو مماته أو سواء في حج أو غير حج فلو شد رجل رحاله لزيارته في غير موعد الحج لكان من أعظم القرب له.

2- دليل نص السنة من حيث العموم الوارد من قوله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» وهذا الحديث أيضًا يفيد العموم والإطلاق وعدم التقيد بوقت معين.

يقول ابن مرزوق في كتاب «التوسل بالنبي ﷺ وبالصالحين: هذا الحديث يشمل العموم في السنة فإنه يشمل القريب والبعيد والزائر عن سفر وعن غير سفر كلهم يدخلون تحت هذا العموم لاسيما قوله في الحديث الذي صححه ابن السكن: «**من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي**».

فإن هذا ظاهر في السفر بل في تمحيص القصد إليه وتجريده عما سواه انتهى.

3- ورود السنة ونصها على لازيارة ولفظ الزيارة يستدعى السفر والمشقة والتنقل من مكان الزائر إلى مكان المزور.

يقول ابن مرزوق: فالزيارة إما نفس الانتقال من مكان إلى مكان بقصدها. وإما الحضور عند المزور من مكان آخر.

وعلى كل حال فلابد من تحقيق معناها من الانتقال. فالسفر داخل تحت اسم الزيارة. فإذا كانت كل زيارة قربة كان كل سفر قربة.

وأيضًا ثبت خروج النبي ﷺ من المدينة لزيارة القبور. وإذا جاز الخروج إلي القريب جاز إلى البعيد. وكذلك ثبت خروجه ﷺ لقبور الشهداء. فإذا ثبت مشروعية الانتقال إلي قبر غيره فقبره ﷺ أولى.

4- الإجماع لإطباق السلف والخلف. فإن الناس لم يزالوا في كل عام إذا قضوا الحج يتوجهون إلى زيارته ﷺ. ومنهم من يفعل ذلك قبل الحج.

قال ابن مرزوق: هكذا شاهدناه وشاهده من قبلنا وحكاه العلماء عن الأعصار القديمة وذلك أمر لا يرتاب فيه أحد. وكلهم يقصدون ذلك ويعرجون إليه وإن لم يكن طريقهم ويقطعون فيه المسافة البعيدة وينفقون فيه الأموال ويبذلون فيه المهج والأرواح معتقدين أن ذلك قربة وطاعة.

وإطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغاربها على مر السنين وفيهم العلماء والصالحون وغيرهم يستحيل أن يكون خطأ.

* * *

الفصل السادس والأربعون

أين يذهب أطفال الكفار بعد الموت هل إلى الجنة أم إلى النار؟

الجواب ما قاله ابن حجر فى فتح البارى: اختلف العلماء قديمًا وحديثًا فى هذه المسألة على عشرة أقوال:

1- أنهم فى مشيئة الله تعالى وهو منقول عن حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك وإسحاق ونقله البيهقى عن الشافعى.

وقال ابن عبد البر: وهو مقتضى صنيع مالك ولا نص عندنا فى المسألة إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين فى الجنة وأطفال الكفار فى المشيئة والحجة لهم فيه ما أخرجه البخارى عن ابن عباس بلفظ: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين؟ فقال: «**الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين**».

2- أنهم تبع لآبائهم حكاه ابن حزم عن الأزارقة والخوارج واحتجوا بقوله تعالى: ﴿**رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً**﴾ [نوح: 26].

وتعقبه بأن المراد قوم نوح خاصة.

وأما حديث: «**هم مع آبائهم**» فذلك ورد فى حكم الحربى.

3- أنهم فى برزخ بين الجنة والنار لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة ولا سيئات يدخلون بها النار.

4- أنهم خدم أهل الجنة وفيه حديث أخرجه أبو داود والطيالسى وأبو يعلى والطبرانى والبزار ولفظه: «**أولاد المشركين خدم أهل الجنة**» وهو ضعيف.

5- أنهم يصيرون ترابًا وهذا رأى ثمامة بن أشرس النميرى المعتزلى وهو من تلاميذ الجاحظ وقد عده المقريزى من رؤساء الفرق الهالكة.

6- هم فى النار حكاه عياض عن أحمد.

وغلطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه ولا يحفظ عن الإمام أصلاً.

7- أنهم يمتحنون فى الآخرة بأن ترفع لهم نار فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا. ومن أبى عُذِّبَ.

أخرجه البزار عن أنس والطبرانى عن معاذ.

وقد صحت مسألة الامتحان فى حق المجنون ومن مات فى الفترة من طرق صحيحة.

وقال البيهقى: إنه المذهب الصحيح.

وتعقب بأن الآخرة ليست دار تكليف.

8- أنهم فى الجنة.

قال النووى: وهو الصحيح المختار الذى صار إليه المحققون لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: 15].

فإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه دعوة فأولى غير العاقل والحجة له حديث البخارى عن سمرة فى رؤيا النبى ﷺ وفيه: «**والشيخ فى أصل الشجرة إبراهيم والصبيان حوله أولاد الناس**».

فإن الناس عام يشمل المؤمنين وغيرهم.

9- الوقف.

10- الإمساك وفى الفرق بينهما دقة، انتهى.

* * *

الفصل السابع والأربعون

كيف يقبض ملك الموت أكثر من روح فى وقت واحد فى جهات مختلفة من الأرض

أقول : وقداختلف العلماء فى ذلك :

فمنهم من قال : إن ملك الموت له أعوان يعينونه إذا مات أكثر من مرء فى وقت واحد فى أكثر من جهة من جهات الأرض وإلا فكيف يتواجد بشخصه فى كل هذه الجهات المترامية الأطراف والبعيدة .

ومنهم من قال وهو الصحيح عندى : أن الله عز وجل أعطاه القدرة على قبض أكثر من روح فى وقت واحد فى جهات مختلفة من الأرض .

إذ لا حدود لقدرة الله عز وجل فى عالم الملائكة والأرواح فقد ورد فى سورة النمل أن الذى عنده علم من الكتاب جاء لسليمان عليه السلام بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه ، هذا علمًا بأن إمكانيات ملك الموت أعلى وأعظم من الذى أتى بعرش بلقيس لكونه من الملائكة الأربعة المقربين وهم : جبريل وإسرافيل وميكائيل .

وقد ورد فى بعض الآثار أن ملك الموت تكون الأرض بين يديه كالطبق يأخذ منه ما يشاء فى وقت واحد .

وهناك حجة مادية عظيمة وهى أن شبكة المحمول المركزية تبث المكالمات لكل البشر فى وقت واحد وهى الشبكة المركزية فهذا

يكلم منها أمريكا وهذا يكلم إستراليا وهذا يكلم أفريقيا إلى غير ذلك من جهات الأرض البعيدة المترامية الأطراف المتناقضة والمتعاكسة فى الاتجاهات المختلفة كالشرق والغرب والجنوب والشمال .

فإذا كان هذا من صنع البشر فكيف بمن صنعه العزيز الجبار وسخره لهذا الغرض بعينه سبحانه وتعالى عما يشركون؟!!! .

وما ضل البشر إلا عندما قاسوا قدراتهم بقدرات من خلقهم . بل ليتهم سكتوا فقد ذهبوا إلى ما هو أدهى من ذلك عندما أرادوا أن يقيسوا قدرة الحى القيوم بقدرة أقل من قدرة مادية هى من صنع أيديهم! فأرادوا أن يحكموا على ملك عظيم (ملك الموت) بأنه غير قادر على قبض أكثر من روح فى أكثر من جهة، بينما اعترفوا وأقروا لآلة صماء وهى آلة جهاز المحمول بأنها قادرة على ذلك .

* * *

الفصل الثامن والأربعون

هل ملك الموت يقبض أرواح جميع المخلوقات من غير البشر؟

قال الشيخ عبد الباقى الزرقانى فى كتابه الأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة :

هل ملك الموت يقبض أرواح الخلائق كلها؟

الجواب: ما قاله الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الجزولى فى شرح رسالة الشيخ ابن أبى زيد القيروانى: ما يجب اعتقاده أن ملك الموت يقبض الأرواح من الجن والإنس والبهائم وجميع المخلوقات خلافًا لقول المبتدعة فيما رواه أبو الشيخ والعقيلى فى الضعفاء والديلمى عن أنس مرفوعًا: «**آجال البهائم وخشاش الأرض والقمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها والبقر وغير ذلك فى التسبيح فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها وليس إلى ملك الموت منها شيء**» لأنه حديث ضعيف جدًا بل قال العقيلى: لا أصل له وقال ابن الجوزى: موضوع.

وقد روى الخطيب البغدادى فى «رواة مالك» عن سليمان بن الحلانى: حضرت مالك بن أنس وسأله رجل عن البراغيث: أملك الموت يقبض روحها؟ فأطرق طويلاً ثم قال: ألها نفس؟

قال: نعم.

قال: فإن ملك الموت يقبض أرواحها ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**﴾ [الزمر: 42].

وأيده بعضهم بما أخرجه الطبرانى فى الكبير أن رسول الله ﷺ نظر إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال: « **يا ملك الموت ارفق بصاحبى فإنه مؤمن** » . فقال ملك الموت: « **طب نفساً وقر عيناً واعلم أنى بكل مؤمن رفيق**» الحديث.

وفيه : «لو أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو يأذن لى بقبضها»

قال القرطبى : وهذا عام فى حق كل ذى روح .

* * *

الفصل التاسع والأربعون

فى ذكر أن المؤمن الصادق تخفف عنه ضمة القبر فلا يحس بها

أخرج البيهقى عن سعيد بن المسيب أن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : يا رسول الله إنك منذ حدثتنى بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعنى شىء .

قال : «**يا عائشة إن صوت منكر ونكير فى أسماع المؤمن كالإثمد فى العين وضغطة القبر على المؤمن كالأم الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداع فتغمز رأسه غمزاً رفيقًا ولكن يا عائشة ويل للشاكين فى الله كيف يضغطون فى قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة**» .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن محمد التيمى قال : كان يقال إن ضمة القبر إنما أصلها أنها أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما رد إليها أولادها ضمتهم ضم الوالدة الشفيقة التى غاب عنها ولدها ثم قدم عليها فمن كان لله مطيعًا ضمته برفق ورأفة ومن كان لله عاصيًا ضمته بعنف سخطًا منها عليه .

* * *

الفصل الخمسون

فى ذكر أن القبر يرحب بالمؤمن إذا دفن فيه ويستقبله استقبالاً حاراً

قال السيوطى فى كتابه بشرى الكئيب بلقاء الحبيب :

أخرج الترمذى وحسنه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا دفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحباً وأهلاً أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلى فإذا أوليتك اليوم وصيرت إلى فسترى صنعى بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة**» .

* * *

الفصل الحادى والخمسون

فى ذكر بكاء السماء والأرض ومواضع السجود منها على المؤمن إذا مات

حكى الإمام الحافظ السيوطى فى كتابه «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» عدة آثار فى هذا الشأن .

أخرج الترمذى وأبو يعلى عن أنس أن النبى ﷺ قال : «**ما من إنسان إلا له بابان فى السماء باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات العبد المؤمن بكيا عليه**» .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن على بن أبى طالب قال : إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه فى الأرض ومصعد عمله فى السماء .

وأخرج أبو نعيم عن عطاء الخراسانى قال : ما من عبد يسجد لله

سجدة فى بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت.

* * *

الفصل الثانى والخمسون

فى ذكر تجمل المقابر وتمنيها أن يدفن المؤمن فيها إذا مات وتنافسها على ذلك

ذكر السيوطى فى كتابه بشرى الكئيب بلقاء الحبيب: أخرج ابن عدى فى الكامل وابن منده وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «**إن المؤمن إذا مات تجملت المقابر بموته فليس منها بقعة إلا وهى تتمنى أن يدفن فيها**».

* * *

الفصل الثالث والخمسون

فى ذكر أن الميت يعرف من يغسله ويحمله ويكفنه ويدليه فى حفرته

أخرج أحمد فى المسند والطبرانى فى الأوسط وابن منده عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «**إن الميت يعرف من يغسله ويحمله ومن يكفنه ويدليه فى حفرته**».

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن عمرو بن دينار قال: «**ما من ميت**

يموت إلا وروحه فى يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به ويقال له وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك».

وأخرج ابن أبى الدنيا عن سفيان قال: إن الميت ليعرف كل شىء حتى أنه ليناشد غاسله بالله إلا خففت علىَّ غسلى قال: ويقال له وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك.

* * *

الفصل الرابع والخمسون

فى ذكر ملاقاة الأرواح للميت

إذا خرجت روحه وفرحهم بلقائه وسؤالهم له

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال: «إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى كما يلقون البشير من أهل الدنيا ويقولون: انظروا صاحبكم يستريح فإنه كان فى كرب شديد ثم يسألونه ما فعل فلان وفلانة تزوجت»؟

وأخرج البزار بسند صحيح عن أبى هريرة يرفعه: «إن المؤمن إذا نزل به الموت ويعاين ما يعاين يود لوخرجت روحه والله يحب لقاءه وإن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفهم من أهل الدنيا».

وأخرج ابن أبى الدنيا عن سعيد بن جبير قال: «**إذا مات الميت استقبله ولده كما يستقبل الغائب**».

وأخرج ابن أبى الدنيا عن ثابت البنانى قال: « بلغنا أن الميت إذا مات احتوشته أهله وأقاربه الذين تقدموه من الموتى فلهم أفرح به وهو أفرح بهم من المسافر إذا قدم إلى أهله».

❊ ❊ ❊

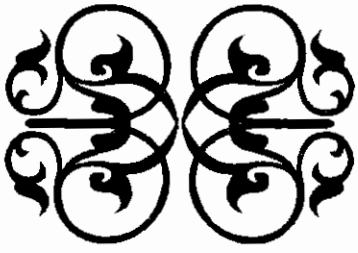

1- القرآن الكريم.
2- صحيح البخارى.
3- صحيح مسلم.
4- سنن الترمذى.
5- سنن أبى داود.
6- سنن النسائى.
7- موطأ مالك.
8- مسند أحمد.
9- المستدرك للحاكم.
10- السنن الكبرى للبيهقى.
11- المسند الكبير للطبرانى.
12- المسند الأوسط للطبرانى.
13- المسند الصغير للطبرانى.
14- الحلية لأبى نعيم.
15- مسند البزار.
16- سنن الدارمى.
17- كتاب عذاب القبر للبيهقى.
18- مشكل الآثار للطحاوى.
19- ذيل تاريخ بغداد لابن النجار.
20- تاريخ بغداد للخطيب.
21- صحيح ابن السكن.
22- موارد الظمآن لابن حبان.
23- مسند أبى يعلى.
24- مصنف عبد الرزاق.
25- كتاب الموت لابن أبى الدنيا.
26- مسند الطيالسى.
27- الكامل لابن عدى.
28- تاريخ ابن عساكر.
29- بشرى الكئيب بلقاء الحبيب للسيوطى.
30- الشرح الكبير للرافعى.
31- المغنى لابن قدامة.
32- المنح الإلهية لابن فارس.
33- تنوير الحلك فى إمكان رؤية النبى والملك لجلال الدين السيوطى.
34- الاعتقاد للبيهقى.
35- الإبريز فى مناقب سيدى عبد العزيز الدباغ لابن المبارك.
36- الرماح لسيدى على حرازم.
37- الشفا للقاضى عياض.
38- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزى.
39- التوسل بالنبى ﷺ وبالصالحين لابن مرزوق.
40- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر.
41- الأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة لعبد الباقى الزرقانى.
42- رسالة ابن أبى زيد القيروانى.
43- الشرح الصغير للدردير.

الفهـــرس

• مقـدمة 3
• الفصل الأول: في المعنى الذوقي للقبر 5
• الفصل الثاني: في بيان أن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار 6
• الفصل الثالث: في بيان أن الموت راحة للعباد 7
• الفصل الرابع: في صفة أعمار أمة سيدنا محمد ﷺ 8
• الفصل الخامس: في النهي عن تمني الموت عند وقوع المصيبة 9
• الفصل السادس: في بيان أنه يجب على المؤمن أن يحب لقاء الله تعالى 10
• الفصل السابع: في بيان أن الميت يعذب بنواح أهله عليه 11
• الفصل الثامن: يرى ملك الموت وهو في النزع قبل أن تخرج روحه 11
• الفصل التاسع: في بيان أن روح المؤمن تعاد إلى جسده وهو في قبره 14
• الفصل العاشر: في ذكر أن الأنبياء أحياء بعد موتهم 16
• الفصل الحادي عشر: في ذكر أن الأنبياء والصالحين يرون أهل القبور في قبورهم 18
• الفصل الثاني عشر: في ذكر خلق ملك الموت 19
• الفصل الثالث عشر: في ذكر دعاء النبي ﷺ لمن مات أن يثبته الله سبحانه وتعالى بعد الفراغ من الدفن 21
• الفصل الرابع عشر: في ذكر استعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر 22
• الفصل الخامس عشر: في ذكر أن النبي ﷺ كان يدعو على الكفار بعذاب القبر 23
• الفصل السادس عشر: في ذكر نزول الملائكة عند الموت ببشرى المؤمن ووعيد الكافر 23
• الفصل السابع عشر: في ذكر أن روح الميت تأتي لتزور دارها وأهلها وأقاربها 25
• الفصل الثامن عشر: في ذكر عقوبة تارك الصلاة في قبره وما يصيبه من ذلك 26
• الفصل التاسع عشر: في ذكر عقوبة شارب الخمر في قبره وما يصيبه من ذلك 28
• الفصل العشرون: في ذكر عقوبة الزاني في قبره وما يصيبه من ذلك 29
• الفصل الحادي والعشرون: في ذكر عقوبة النمام والذي لا يستبرىء من بوله في القبر وما يصيبهما من ذلك 29
• الفصل الثاني والعشرون: في ذكر عقوبة الدين في القبر وما يصيب صاحبه من ذلك 30
• الفصل الثالث والعشرون: في ذكر إثبات سؤال الملكين 31
• الفصل الرابع والعشرون: في ذكر أن الذي يموت من وجع البطن لا يعذب في قبره 33
• الفصل الخامس والعشرون: في ذكر أن من مات مريضًا وقي من عذاب القبر 33
• الفصل السادس والعشرون: في ذكر أن من مات مرابطًا أمن من عذاب القبر 34
• الفصل السابع والعشرون: في ذكر أن الشهيد يأمن من عذاب القبر 34
• الفصل الثامن والعشرون: في ذكر أن من مات يوم الجمعة أو مات ليلة الجمعة فهو آمن من عذاب القبر 35
• الفصل التاسع والعشرون: في ذكر أن من مات ببيت المقدس فكأنما مات في السماء 35
• الفصل الثلاثون: في ذكر أن من مات في أحد الحرمين فقد استوجب أمان الله 36
• الفصل الحادي والثلاثون: في ذكر أن قراءة سورة يس تخفف الموت عن الميت 36
• الفصل الثاني والثلاثون: في ذكر أن قراءة سورة الملك عند الميت تنجيه من عذاب القبر 37
• الفصل الثالث والثلاثون: في ذكر أن النبي ﷺ استعاذ من موت الفجاة 37
• الفصل الرابع والثلاثون: في ذكر استعاذة النبي ﷺ من سبع موتات 38
• الفصل الخامس والثلاثون: في ذكر أنواع الشهداء 38
• الفصل السادس والثلاثون: في ذكر أن الذي يموت غريبًا إنما يموت شهيدًا 39
• الفصل السابع والثلاثون: في ذكر أن من مات من ذات الجنب فهو شهيد 39
• الفصل الثامن والثلاثون: في زيارة القبور والدعاء لأهلها 39
• الفصل التاسع والثلاثون: في زيارة النبي ﷺ قبر أمه 40
• الفصل الأربعون: في أن الميت ينتفع بعمل غيره 40
• الفصل الحادي والأربعون: في الكلام على سكرات الموت 41
• الفصل الثاني والأربعون: في الكلام على أنه يجب على المؤمن عدم اغتياب الميت ولا يذكر سوى محاسنه 43
• الفصل الثالث والأربعون: في بيان أقاويل جماعة من الصحابة والتابعين والصالحين ومن بعدهم من أهل التصوف في الموت وما وقع لهم في ساعة الاحتضار وخروج الروح 44
• الفصل الرابع والأربعون: في استحباب زيارة قبر النبي ﷺ وأنها مجمع عليها في المذاهب الأربعة 49
• الفصل الخامس والأربعون: في بيان أن زيارة قبر النبي ﷺ في أي وقت هو قربة ربانية خالصة 50
• الفصل السادس والأربعون: أين يذهب أطفال الكفار بعد الموت هل إلى الجنة أم إلى النار؟ 52
• الفصل السابع والأربعون: كيف يقبض ملك الموت أكثر من روح في وقت واحد في جهات مختلفة من الأرض 55
• الفصل الثامن والأربعون: هل ملك الموت يقبض أرواح جميع المخلوقات من غير البشر؟ 56
• الفصل التاسع والأربعون: في ذكر أن المؤمن الصادق تخفف عنه ضمة القبر فلا يحس بها 58
• الفصل الخمسون: في ذكر أن القبر يرحب بالمؤمن إذا دفن فيه ويستقبله استقبالاً حارًا 59
• الفصل الحادي والخمسون: في ذكر بكاء السماء والأرض ومواضع السجود منها على المؤمن إذا مات 59
• الفصل الثاني والخمسون: في ذكر تجمل المقابر وتمنيها أن يدفن المؤمن فيها إذا مات وتنافسها على ذلك 60
• الفصل الثالث والخمسون: في ذكر أن الميت يعرف من يغسله ويحمله ويكفنه ويدليه في حفرته 60
• الفصل الرابع والخمسون: في ذكر ملاقاة الأرواح للميت إذا خرجت روحه وفرحهم بلقائه وسؤالهم له 61
مراجع الكتاب 63
• الفهرس 64